

حديث جامع في ذكر الأمور المعينة على الثبات على الحق والهدى

تفريغ شرح الحديث

للشيخ عبد الرزاق البدر – وفقه الله –

من شرح كتاب النعوت من سنن النسائي الكبرى

قال الإمام النسائي -رحمه الله تعالى- : (الحي)

أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو مَعْمَرٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَارِثِ ، قَالَ : ثنا حُسَيْنٌ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ يَقُولُ : " اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تَضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا تَمُوتُ ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ " » (سنن النسائي الكبرى / كتاب النعوت/رقم الحديث: ٧٣٧٩)

قال الشيخ عبد الرزاق – وفقه الله – : أورد النسائي -رحمه الله تعالى- حديث بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول : " اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تَضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا تَمُوتُ ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ " .

أنظر هذه التوسلات ، ما أعظم شأنها! بين يدي هذا المطلوب العظيم وهو (الإعازة من الضلال) فأنظر هذه التوسلات! ثم –أيضاً- فقه فيها! فإن فيها من الفقه ذكرٌ للأمور المعينة على الثبات على دين الله ، فكثيراً ما يسأل الناس على ما يعينهم على الثبات على دين الله –سبحانه وتعالى – فيسألون عما تكون به نجاتهم من الضلال ، هذا الحديث جامع في هذا الباب ، عجيبٌ أمره ! وجامع في هذا الباب فيما يعين المرء على الثبات على دين الله سبحانه وتعالى .

قال: (اللهم لك أسلمت) ، هذا الأمر الأول : الاستسلام لله ، انقيادا ، وامتنالا، وطواعيةً لله - سبحانه وتعالى – وهكذا ينبغي أن يكون المسلم ، أن يكون مستسلماً لله ، لا أن يكون متَّبِعاً لهواه، كثير من الناس متَّبِعاً لهواه، والمسلم حقا من استسلم لله ، منقادا ، ممتثلا ، مطيعا لأمر الله – سبحانه وتعالى – فهذا أساس عظيم في تحقق الهداية ودوامها وثبات المرء عليها ، أساس عظيم في هذا الباب .

قال: (وبك آمنت) : لاحظ ! (الإسلام) ، قال: (لك أسلمت) أي منقادا مطيعا ، وفي (الإيمان) قال : (وبك آمنت)، وهذا فيه بيان أن الإيمان والإسلام إذا ذُكرا معا فبينهما فرق ، فالإسلام هو العمل، والإيمان هو العقيدة ، ولهذا في (الإيمان) قال: (بك آمنت) والمراد ب(الإيمان) حينما تجتمع مع الإسلام : (العقيدة الصحيحة) التي هي إيمان بالله -سبحانه وتعالى- وإيمان بكل ما أمر -سبحانه وتعالى -عباده بالإيمان به .

(بك آمنت) أي يا الله ربّا رازقا خالقا منعمًا آمنت بك وبأسمائك وصفاتك وعظمتك وجلالك وآمنت بأنك أنت المعبود بحق ولا معبود بحق سواك .

(وعليك توكلت) : وهذا فيه تفويض الأمور كلها إلى الله اعتمادا عليه وصدقًا في الالتجاء إليه وبراءة من حول العبد وقوته وإعلانا من العبد عن عجزه وأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله ، (توكلت عليك) أي اعتمدت في أموري كلها الدينية والدنيوية ومصالحي جميعها عليك يا الله .

و(التوكل) عبودية قلبية مصاحبة للمسلم الصادق في أموره كلها ، فهو متوكلٌ على الله فيما يُقدم عليه من مصالح دينه ومتوكل على الله فيما يقدم عليه من مصالح دنياه ، ولهذا شرع للمسلم كل مرة يخرج من بيته لمصلحة دينية أو دنيوية أن يقول: (بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله) فيقال : (هُدِيت وَكُفِيت وَوُقِيت) ، فالعبد لا غنى له عن ربه طرفة عين ، فقير إلى الله من كل وجه ، ولهذا ينبغي أن يكون العبد في أموره كلها ومنها أمور هدايته وثباته على دين الله -سبحانه وتعالى- متوكلا على الله مفوضا أمره إلى الله -سبحانه وتعالى -

قال : (وإليك أنبت) : الإنابة هي الرجوع إلى الله ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر: ٥٤] ، الرجوع إلى الله امتثالًا إلى الله وبعدا عن المناهي ، والعبد مهما جاهد نفسه على تكميل عمله وتتميم دينه والمحافظة على إيمانه لا بد أن يعتريه من النقص ما يعتريه ، ولهذا العبد المؤمن الصادق ينبغي إلى الله -سبحانه وتعالى -

قال : (وبك خاصمت): (الباء) هنا باء استعانة أي في حديثي وفي أموري ووفي نقاشي وفي علمي ونحو ذلك ، أعتمدُ عليك يا الله وأفوضُ ذلك كله إليك .

هذه وسائل بين المطلوب ، ثم بدأ بذكر المطلوب وهو : (الإعاذة من الضلال)

قال: (أعوذ بعزّتك) هذا توسل إلى الله -سبحانه وتعالى - بعزّته، وأنه القاهر الذي لا يُغلب ، والذي الأمور كلها بتدبيره وطوع تسخيرهِ فلا يُعجزه شيء -سبحانه وتعالى -

(لا إله إلا أنت) وهذا توسل آخر إلى الله - عز وجل - بالتوحيد ، وكلمة التوحيد من أعظم الوسائل التي يُتوسَّل بها إلى الله - سبحانه وتعالى -

(أَنْ تَضِلَّنِي) : هذا هو المطلوب وهو (التعوذ بالله من الضلال) أي عن طريق الحق وعن طريق الهداية ، وهذا فيه : أن أمر العباد هدايةً وضلالةً بيد الله ، كما قال الله - سبحانه وتعالى - ﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ...﴾ [النحل: ٣٧] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ... فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ...﴾ [فاطر: ٨] فأمر الهداية والضلال بيد الله - سبحانه وتعالى فلا ينظر العبد في ثباته على الهداية لعلمه ولا لفهمه ولا لذكائه أو فطنته، لا ينظر إلى هذا بل يلجأ إلى الله ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ...﴾ [آل عمران: ٨] ، وكان من أكثر دعاء نبينا عليه الصلاة والسلام : (يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك) ، وهنا في هذا الدعاء العظيم يتوسَّل إلى الله - سبحانه وتعالى - هذه التوسلات العظيمة أن يعيده من الضلال .

ثم قال : (أنت الحي الذي لا تموت) وهذا فيه أن حياة الله - سبحانه وتعالى - حياة مختصة به ، لا مثيل له - سبحانه وتعالى ولا نظير في شيء من صفاته - سبحانه وتعالى - فحياته لم يسبقها عدم ولا يلحقها موت ، ولا يعترئها نقص ، حياة كاملة .

(والجن والإنس يموتون) : ومن كان هذا شأنه فهو ضعيف عاجز ، لا يملك لنفسه حولا ولا قوة فضلا عن أن يملك شيء من ذلك لغيره .

فهذا الحديث - سبحان الله - فيه من تحقيق التوحيد في القلوب ، وتقوية الإيمان ، وذكر الأمور المعينة على الثبات على الحق والهدى ، ومن وفقه الله - سبحانه وتعالى - لتدبر هذا الحديث وتأمل معانيه ، والتفقه في دلالاته ، وواظب على دعاء الله - سبحانه وتعالى - به كان أعظم معونة له على الثبات على الهدى والسلامة من الضلال .

وإنني أقول -خاصا في هذا المقام - : الناس في هذا الزمان مع كثرة الضلال ووسائل الفتن وكثرة الصوارف والصوَادّ والشواغل والملهيات عن دين الله بحاجة ماسّة إلى أن يُكثروا من هذا الدعاء ، وأن يُلحّوا على الله - سبحانه وتعالى - به ، مع -كما ذكرت وقَدّمت- التفقّه والتأمّل في معاني هذه الدعوة العظيمة المباركة .

ولنبداً من هذه الساعة اهتماما بهذا الدعاء وعنايةً به ، وأيضا نبداً من هذه الساعة عملا على نشره من خلال وسائل الاتصال بالنشر بقوة ، لعل الله -سبحانه وتعالى - يمنّ علينا أجمعين في أنفسنا وأهلينا وذرياتنا وقرباتنا وجيراننا والمسلمين أن يهدينا إليه صراطا مستقيما وأن يعيذنا أجمعين من الضلال بمَنِّه وكرمه سبحانه و تعالى .

وأقول مرّة ثانية : من هذه الساعة نبداً بداية فيها عناية عظيمة جدّا بهذا الدعاء ، أولا في أنفسنا ونشرا لهذا الدعاء بقوة في وسائل التواصل ، وحثّا على فهمه وفهم مدلولاته وحثّا على كثرة دعاء الله - سبحانه وتعالى - به وأيضا الإخوة الذين يحسنون لغات معينة من لغات بلادهم ينقلون هذا إلى تلك اللغات لعل الله -سبحانه وتعالى - يحقق بذلك خيرا عظيما في هذا الشهر المبارك وانتشار هذا الدعاء العظيم في الأمّة - أمة الإسلام .

الرابط الصوتي:

http://safeshare.tv/v/wAa_bajMEg4